

المستشرقون والجدل الإسلامي المسيحي مراجعات نقدية مع غي مونو

عبد الحكيم فرحات*

Abstract

This study reviews the work of the contemporary French Orientalist *Guy Monnot* on Muslim theologians' (*mutakallimūn*) critical studies on Christian theology, their significance and the extent of their accuracy, especially those done by Qādī 'Abdul Jabbār who was the best representative of Muslim theological thought. The review is based on the work of Qādī 'Abdul Jabbār by closely analyzing the material used by the French Orientalist to support his conclusions. Drawing on Christian comparative theology, this review has used three methods: analytical, comparative and critical. It has arrived at findings putting into question the adequacy of Mannot's approach and the accuracy of his conclusions.

مستخلص البحث

احتفت هذه الدراسة بمراجعة أبحاث المستشرق الفرنسي المعاصر "غي مونو"، حول دراسات المتكلمين المسلمين النقدية للإلهيات المسيحية ودلالاتها ومدى استيعابهم لها، سيما منها أبحاث المتكلم "القاضي عبد الجبار"، لما كان خير ممثل للفكر الكلامي عند المسلمين. وقد تمت المراجعة بالرجوع إلى كتب القاضي عبد الجبار التي عول عليه المستشرق، فاقتفت النصوص الشواهد التي عول عليها المستشرق الفرنسي المذكور في بلورة نتائجه، وعاودت تحليلها في ضوء الدراسات اللاهوتية المسيحية المقارنة، وتوسلت لذلك بثلاثة مناهج: المنهج التحليلي، والمنهج المقارن، والمنهج النقدي، وخلصت إلى نتائج تقدرح في مدى دقة منهج المستشرق الفرنسي المعاصر "غي مونو"، وسلامة نتائجه.

* أستاذ التعليم العالي - كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر.

مقدمة

يُعرّف علماء الدين المسيحيون علمَ اللاهوت بقولهم: "علمٌ يبحث عن الله وصفاته وشرائعه وأعمال عنايته، والتعاليم التي يجب أن نعتقد بها، والأعمال التي يجب أن نقوم بها".¹ فهو يطمح إلى البحث في الله، وفي الإنسان، وفي العلاقة بينهما، وفي علاقة الله بالمخلوقات كافةً، ومعلّنات الوحي العديدة، ولاسيما شخص المسيح، وتنظيم دلائل الكتاب المقدس المستنبطة وتنسيق بعضها مع بعض، ومع باقي المعارف الإنسانية. وقد جرى الاصطلاح المسيحي على تقسيم اللاهوت إلى أقسام مختلفة؛² من أهمها الثيولوجيا (Theology)، وتتم بالبحث في إثبات الله وصفاته، وكل ما يعلّمه الكتاب في وجود الله وصفاته، وأقانيمه، وعلاقته بالعالم.³

ولقد احتفى الفكر الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري بدراسة اللاهوت المسيحي، وخص الإلهيات منه بمزيد بحث، فظهرت دراساتٌ علمية عديدة في تلك المرحلة، وتعددت حتى صارت تعد بالفهارس. ولكن للأسف ضاع أكثرها، ولم تبق إلا عناوينها تتناقله الكتب.⁴ والقليل الذي بقي منها ما زال حتى الآن يفتقد إلى دراسات دقيقة، تتفحص الفهم الإسلامي للإلهيات المسيحية في تلك المرحلة، وتبين مدى إدراكه لدلولاتها

¹ جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، راجعه ونقّحه وأضاف إليه: القس منيس عبد النور، (كتاب إلكتروني)، <http://www.answering-islam.org/Arabic/Books/Theology/index.html>، (2 يناير 2008)،

فصل 1، س 1 (ملاحظة: س: سؤال لا صفحة، لأن الكتاب مقسم على الأسئلة)، وقريب منه:

Alister E. Mc Grath, *Christian Theology*, (USA: Blackwell, ed 3, 2001), p137.

² الثيولوجيا: الإلهيات ويبحث عن الله وصفاته. ويشمل كل ما يعلّمه الكتاب في وجود الله، وصفاته، والتثليث، وعلاقة الله بالعالم في قضائه وأعمال الخليقة وعنايته بما. جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 2، س 11-13. وأيضاً:

Mc Grath, *Christian Theology*, p137-139.

³ المصدر السابق.

⁴ راجع قائمة الكتب الضائعة التي اهتمت بالرد على النصارى، في: عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى (الجزائر/تونس: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986)، حيث خصص الباب الثاني للتعريف بالردود الإسلامية على النصرانية، والكتاب مهم لولا ما فيه من غمز غير مؤسس للتراث الفكري الإسلامي.

وموقفها منها.¹ وما عندنا من دراسات إسلامية حول هذه المجالات لا يزيد عن عدد الأصابع، وبالمقابل فقد نالت حظاً وافراً من اهتمام المستشرقين.² ولعل من أهمها دراسات المستشرق الفرنسي المعاصر غي مو *Guy Monnot*، أستاذ الدراسات الإسلامية المتقاعد بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا (EPHE)³ بفرنسا.

فهذا الباحث دراسات عديدة حول هذا الموضوع،⁴ تبلور عنها كتابه "الإسلام والديانات"،⁵ الذي تتبع فيه فهم المتكلمين للعقيدة المسيحية ودلالاتها، وخلص إلى أنهم لم يفهموا دلالاتها، ولم يستوعبوا مراميها، فنقدوا ما لم يفهموا، ظناً منهم أنها المسيحية حقاً، بينما هي ليست كذلك يقيناً، مما يطيح بقيمة كل ما أنتجه المفكرون المسلمون من ردود على النصارى، ويجعله ضرباً من التقول لا غير، ولم يلبث هذا الرأي أن صار شائعاً بين النقاد الغربيين، والمفكرين المسيحيين، والمبشرين المحدثين.⁶ ولا شك في أن هذه النظرية قديمة، فقد أشار إليها المتكلمون من قبل، وبينوا أنها نوع من الهروب إلى الأمام.⁷ ومع ذلك فقد حاول غي مونو أن يؤسسها تأسيساً جديداً، كما سنرى، فدعمها بمناهج وطرق في النقد لم توظف من قبل.

¹ المصدر السابق.

² Ali Bouamama, *Polémique Musulmane contre le Christianisme depuis ses origines jusqu'au XIIIe siècle* (Alger: Entreprise nationale du livre, 1984), pp. 120-129.

³ (EPHE) Ecole Pratique des Hautes Etudes, Paris, France.

⁴ لم أعر على ترجمة وافية للمستشرق، ولما تحدثت معه سنة 1994 بفرنسا، وراسلته مرات، أبلغني أنه تقاعد سنة 1995 وانقطعت أخباره بعد ذلك. ولقد اتصلت بالمدرسة التطبيقية التي كان يحاضر فيها، بتاريخ 15 مارس 2008؛ لأجل الحصول على معلومات حوله، فلم يردوا علي بشيء.

⁵ Guy Monnot, *Islam et Religions* (Paris: Maison noeuve, 1986), p. 243.

⁶ David Thomas, *Early Muslim Polemic against Christianity* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1st ed, 2002), pp. 3-21. and also: (www.alkalema.net (1 يناير 2008))

وهو أشهر موقع مسيحي تبشيري عربي، تجد به كتباً عديدة حول هذه المسألة.

⁷ القاضي عبد الجبار، أبو الحسن الأسدي، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1966)، ج5، ص88.

وعلى الرغم من أن هذه النظرية تطيح بقيمة كل الردود الإسلامية على النصارى بما في ذلك التصوير القرآني لمحتوى العقائد النصرانية، إلا أنها لم تلق النقد الكافي من لدن الكتاب المسلمين، وهذا ما دفعني لتناولها في هذا البحث، عبر تحليل ما بسطه الدكتور غي مونو في كتابه، محاولاً الإجابة عن ثلاثة أسئلة، وهي: ما هي مستندات غي مونو في الحكم على المفكرين المسلمين بعدم فهم حقيقة التثليث المسيحي؟ وما المنهج الذي اعتمده حتى توصل إلى ذلك؟ وهل المسلمون لم يستوعبوا فعلاً حقيقة ما يعنيه النصارى بتثليثهم؟

وسأجيب عن هذه الأسئلة باستخدام ثلاثة مناهج: المنهج التحليلي أحل به نصوص غي مونو ونصوص المتكلمين المسلمين، والمنهج المقارن للتأكد من الاتفاق والاختلاف وصحة دعواه، والمنهج النقدي كي أنقد النظرية وأسسها. وقد آثرت أن أقارن أعمال القاضي عبد الجبار بما قاله قديسو الكنيسة الأوتل، وهم محل ثقة بين كل الفرق النصرانية. واخترت من المحدثين، القس جيمس أنس، وكتابه الشهير "علم اللاهوت النظامي"، الذي ترجم إلى اللغة العربية بأقلام مسيحية، وتعتمده الكنائس المعاصرة.¹ والرجل وإن كان إنجيلياً إلا أنه حجة هنا؛ لأن سؤال البحث يتعلق بالمسيحيات القديمة،² التي كانت قبل ظهور الفرق الحالية، ولذلك فقوله تنهض به الحجة، لاسيما في كل ما يتعلق باللاهوت التاريخي والفرق البائدة.

¹ <http://www.answering-islam.org/Arabic/index.html> (3/3/2008) (موقع إنجلي)

<http://www.abocfen-tamf.com/vb/showthread.php?t=4805> (3/3/2008) (موقع قبطي)

² ننبه القارئ غير المختص أن الفرق المسيحية التي تناولها القاضي عبد الجبار قديمة، وتعد الأصول العليا للفرق المسيحية المعاصرة، وهي: البعقوية، أصحاب يعقوب، والنسطورية، والملكانية، ويمكن مراجعة جدول المقارنة المرفق مع البحث لمعرفة عقائدها. انظر: عبد الجبار، المغني، ج5، ص82.

غي مونو والجدل الإسلامي المسيحي

تناول غي مونو في كتابه لإسلام والأديان فهم المفكرين المسلمين للإلهيات المسيحية بتحليله نصوص المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار،¹ كما خصه بمقالة علمية، ترجم فيها نصوصه.² ولما أجاز لنفسه إصدار حكم على المفكرين المسلمين من خلال دراسة نصوص القاضي عبد الجبار، تبين أنه استخدم طريقة دراسة حالة من المفكرين المسلمين تصلح أن تصير مثلة لما لديهم من تصورات ومواقف. ولا شك في أن اختيار غي مونو للقاضي عبد الجبار حالةً وأ نموذجاً للنظر الكلامي الإسلامي في الإلهيات المسيحية اختياراً موفقاً إلى حد كبير؛ فالقاضي عبد الجبار قاضي القضاة (325-415هـ)، كبير متكلمي المعتزلة، وآخر محققهم، وهو من الذين تصدروا قائمة المفكرين المسلمين الذين اهتموا بهذا الجانب من الفكر الإسلامي، وهو خاتمة علماء الاعتزال والورث الشرعي لأنظار هذه المدرسة وأفكارها. ولذلك، فالبحث في موقفه الفكري من النصارى هو كشف عن موقف المعتزلة خاصة من النصارى، لا سيما وقد قال فيه أحد أئمة المعتزلة: "وليس تحضرنى عبارة تنبى عن محله في الفضل وعلو منزلته في العلم، فإنه الذي فتح الكلام ونشره، ووضع فيه الكتب الكثيرة الجليلة التي سارت بها الركبان، وبلغت الشرق والغرب، وضمنها من دقيق الكلام وجليله ما لم يتفق لأحد مثله".³

ولقد اعتمد غي مونو في دراسة نصوص مغني القاضي عبد الجبار على ثلاثة مناهج،

¹ راجع بخصوص القاضي عبد الجبار، ترجمته وجهود الفكرة: فرحات، عبد الحكيم، منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان (قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر، 2003)؛ وعثمان، عبد الكريم، قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي (بيروت: الدار العربية للطباعة والنشر، 1967)؛ والراوي، عبد الستار، العقل والحرية: دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي (بيروت: المؤسسة العريفة للدراسات والنشر، ط1، 1980).

² Guy Monnot, *Les Doctrines des Chrétiens dans le Moghni d'Abdal Jabbar*, Mideo, N°16, (1983), pp. 9-30.

³ الجشمي، الحاكم، "شرح عيون المسائل"، ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد السيد (تونس: الدار التونسية للنشر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1986)، ص367.

وهي: المنهج التحليلي، والمنهج الدلالي، والمنهج المقارن، فتتبع نصوصه التي تناول فيها إلهيات النصارى في كتابه "المغني في أبواب العدل والتوحيد"، واقتفى مصطلحات النصرانية بمذاهبها المختلفة، مستخدماً المنهج التحليلي، ثم حلل دلالاتها عند القاضي عبد الجبار، ودقق في فهمه لها، ومحص تصوره لها، وحقق فيما رآه من معنى، وما حصله من دقائقها ولطائفها، وكشف عن علاقاتها الدلالية بتطبيق المنهج الدلالي. ثم وظف المنهج المقارن ليكشف عن الاختلاف بين تصور القاضي عبد الجبار لها وتصورات النصارى.

ولا شك في أن لألفاظ الإلهيات المسيحية معانٍ مختلفة، صيرت النصارى فرقاً ومدارس مختلفة كما سنرى¹، مما يقوي فكرة أن غي مونو قد ارتضى فهماً معيناً لألفاظ الإلهيات المسيحية ودلالاتها ولوازمها؛ أي أنه في حقيقة الأمر سيقارن تصور القاضي عبد الجبار بما ارتضاه هو من تفسير لألفاظها وارتضته النصارى. وهذا ما يجعلنا نفترض مبدئياً أنهما سيقفان على خلاف، إن لم نقل على طرفي التناقض؛ لأن القاضي مسلم معتزلي بينما مونو مسيحي كاثوليكي². ولا يلبث هذا الافتراض أن يتأكد بمتابعة نتائج غي مونو؛ إذ قد استخلص من دراسته لنصوص القاضي عبد الجبار وردوده على النصارى أنه لم يفهم إلهياتهم البتة، ولم يحط بمراميتها خيراً ولا علماً. فقد تصور المجاز حقيقة، وتعامل مع اللفظ العقدي كتعامله مع اللفظ العلمي، على الرغم من أنه تعبير بشري ومجازي عن الحقائق الإلهية، وتقريب في تصوير الحكم وضبط المعتقد. وهذا ما يمكن أن يعرض الناظر فيها لفهوم لم يُردها واضعوها، فيلزمهم بآراء لم يقولوا بها أبداً. وبالتالي فعامّة الردود الإسلامية على العقائد النصرانية عبثٌ من القول، ولغوٌ من النظر، وكلام مع النفس لا يفيد بشيء؛ لأنها تنقد الدال ولا تصل إلى المدلول، وتنتظر في التعبير ولا تحير الإيمان، وتعول على لفظ المجاز تتوهم حقيقة هو

¹ McGrath, Alister E., *Christian Theology* (USA: Blackwell, 3rd ed. 2001), pp. 330-340.

² Monnot, *Islam et Religions*, pp. 243-244.

مذهباً للنصارى، ولا تلتفت إلى القرينة الصارفة؛¹ أي أن سبب عدم التفاهم بين المتكلمين المسلمين واللاهوتيين المسيحيين حول الإلهيات النصرانية - في نظره - هو الاصطلاح، ولو أدرك المتكلمون ما عناه النصارى بتثليثهم لما أنكروا عليهم.

بيان المقارنة [جدول رقم 1]²

تصور النصارى		المصطلح اليوناني	المصطلح العربي	تصور المسلمين
1	القائم بالذات	أوسيا (ousia)	جوهر	جوهر (مادي)
2	الطبيعة الملكانية: جوهر كمية للحركة	فيزيس (physis)	طبيعة	طبيعة (مفروضة في الخالق كنهاية)
3	الأقنوم الملكانية: موضوع علاقة إلهية داخلية (شخص) اليعاقبة وبعض النساطرة: جوهر حقيقي محسوس	إيبوستاز (hypostas)	أقنوم	أقنوم (=؟)
4	الشخص الملكانية والنساطرة: مصطلح أو موضوع علاقة إلهية داخلية اليعاقبة: طبيعة شخصية محسوسة وجوهرية	بروصوبون (prosopon)	شخص	شخص (جسم)

وقد دلل غي مونو على دعواه بالمقارنة التي عقدها بالجدول رقم 1، قابل فيها بين التحرير المسيحي للألفاظ اللاهوتية والفهم الإسلامي لها ممثلاً في القاضي عبد الجبار، عبر تحليل دلالات المصطلحات؛ ليؤكد أن المصطلحات الأساسية للإلهيات المسيحية (الجوهر، الطبيعة، الأقانيم، الشخص) لا تفيد الدلالة نفسها عند كليهما. ولذلك فالنقد الموجه للإلهيات المسيحية في الدراسات الكلامية الإسلامية لا يتوجه إليه بقدر ما يتوجه إلى ما

¹ المصدر السابق.

² المصدر السابق.

أدركه الراد. فالجوهر مثلاً يفيد عند النصارى القائم بذاته، بينما هو شيء مادي عند المتكلمين، والأقنوم عند النصارى هو شخص أو علاقة، بينما هو مفهوم غامض عند المتكلمين، والشخص معنوي عند النصارى، بينما هو مادي عند المتكلمين؛¹ أي إن المتكلمين لم يفهموا الإلهيات المسيحية السائدة في وقتهم، ولذلك لم يستفد النصارى من تقدمهم؛ لأنهم في نظرهم قد انتقدوا عليهم ما لم يقولوا به أبداً.²

قد يكون فيما ذكره الدكتور غي مونو شيء من الصواب، إذ للتعبير البشري أثر في عدم التفاهم الإسلامي النصراني، ولكن ليس على النحو الذي صورته؛³ إذ معلوم أن مصطلحات التثليث قد اختلف النصارى في ترجمة صيغها، وتلمس التعبير المناسب عنها، الأمر الذي نتج عنه تغايرٌ في الدلالات، فصارت حمالة معان، بعضها مراد، وبعضها ليس كذلك،⁴ كما سنرى في العناصر الموالية.

وعلى الرغم من أن غي مونو قد تولى المقارنة الدلالية بين التصور الإسلامي لألفاظ الإلهيات النصرانية ودلالاتها عند النصارى، وأبرز خلاصة نتائجه في الجدول السابق، إلا أنه لم يهتم ببيان طريقتيه في تحديد دلالات الألفاظ عند القاضي عبد الجبار، بوصفه متمثلاً للمفكرين المسلمين. فإذا كان قد اعتمد كتاب "المغني"، فإن القاضي عبد الجبار قد تناول الإلهيات النصرانية في مواطن كثيرة، أشار فيها إلى دلالات كثيرة، قال بما النصارى من قبل وما زالوا، ومع ذلك لم يشر إليها غي مونو،⁵ ولم يستوعبها بالتبعية والتحليل، على الرغم من أنه قد اطلع عليها، وترجم أهم مواد فصول "المغني" إلى اللغة الفرنسية.⁶ وهذا

¹ المصدر السابق.

² المصدر السابق.

³ المصدر السابق.

⁴ الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 256-257.

⁵ Monnot, *Islam et Religions*, p243-244.

⁶ Monnot, *Les Doctrines des Chretiens dans le 'Moghni' d'Abdal Jabbar*, p9 - 30.

ما يجعل دراسته غير وافية، وغير دالة. كما أنه لم يعرج على الكتب الأخرى للقاضي عبد الجبار حول النصرانية، والتي أنجزها في الفترة نفسها؛¹ ويبدو أن سبب ذلك أنها لا تختلف عن "المغني" في عرض العقائد المسيحية، ولا في فهمها، وإنما في طريقة النقد.

ومهما يكن من أمر، فقد رفض المفكرون المسلمون الإلهيات النصرانية لأدلة تبيينها وأيقنوها، ولهم الحق في اختيار ما يشاؤون من آراء يسندها الدليل وينهض بها البرهان، إذ حرية الرأي مكفولة للجميع. ولذلك لا يمكن أن يعاب عليهم رأي رأوه، إلا إذا تبين أنهم قولوا النصراني ما لم يقولوا، أو أنهم لم يفهموا الإلهيات المسيحية، وهو الأمر الذي لا يمكن الوثوق فيه بنتائج غي مونو؛ لأنه وظف طريقة الحالة (Case Study)، واقتصر على بعض النصوص، مما جعل حكمه غير دقيق، ونتائجه غير مسلمة، وطريقة مقارنته الدلالات وبنائه الجدول البياني [رقم 1] غير مؤسسة.

ولذلك سأقوم بمراجعة نتائج غي مونو مستخدماً الطريقة نفسها، وبتحريراً للنصوص ذاتها التي ارتضاها غي مونو ممثلاً للفكر الإسلامي، فأوظف كتاب القاضي عبد الجبار الشهير: "المغني في أبواب العدل والتوحيد"،² كما أوظف كتابه: "شرح الأصول الخمسة"،³ و"تثبيت دلائل النبوة".⁴ والكتابان الأخيران لم يفد منهما غي مونو في دراسته، وهما لا يختلفان عن "المغني" في عرض العقائد المسيحية، بقدر ما يختلفان في طريقة التعامل والنقد، فقد وظف القاضي عبد الجبار في كتابه "المغني" المنهج الجدلي بإطناب، واستخدمه في كتابه "شرح الأصول الخمسة" بإيجاز، بينما انتهج في كتابه "تثبيت دلائل النبوة" طريقة جديدة في تحليل المسيحية، تعتمد منهجاً تاريخياً نقدياً مقارنة.

¹ فرحات، منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان، ص 30-35.

² القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1966).

³ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان (الجزائر: موفم، 1986).

⁴ القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبد الكريم عثمان (بيروت: دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1966).

ولقد كان يمكنني الاكتفاء بتحليل كتاب "المغني" جرياً على قواعد الحجاج، لما كان محل السؤال. ولكن آثرت الإفادة من كتابيه الآخرين؛ لأبين أن القاضي عبد الجبار قد استوعب النصرانية وفقه دلالاتها وزيادة، وأحاط خبراً بأبعادها المتعددة. وقد جعلت المغني أساس التحليل في كل ما له صلة بفهم القاضي عبد الجبار للنصرانيات القديمة، ودبجت هذا بنصوص الكتاين الآخرين، تكثريراً للشواهد والأدلة. وبذلك أستطيع أن أبني صورة كاملة ودقيقة حول تصور القاضي عبد الجبار، ثم أقارن التحليل المحصل بما عند النصارى قديماً وحديثاً عبر تناول العناصر الموالية، ثم أعود فأحص نتائج غي مونو في ضوء ذلك، ومنها أخلص إلى تقييم نتائجه وبسط نتائج الدراسة.

القاضي عبد الجبار وقانون الإيمان المسيحي

أكد القاضي عبد الجبار أن إلهيات النصارى ترجع إلى ما قرره قانون الإيمان بنيقية الروم، أو كما يسميها تسيحة الإيمان،¹ فيه أوضحوا ما يلزم كل مسيحي أن يعتقد، وإن أخل بواحد منها فليس من المسيحية في شيء، يقول في ذلك: "يقولون في تسيحتهم التي يسمونها "تسيحة الإيمان" التي وضعت بنيقية من بلاد الروم، [...]، فكان تقريرهم لهذه التسمية، هي أصل الأصول عند جميع هذه الطوائف، ولا يتم لأحد منهم عندهم إيمان إلا بها، وهي:

1. نؤمن بالله الآب الأحد، خالق ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح، ابن الله بكر أبيه، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء.

2. الذي من أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس ومن مريم البتول، وصار إنساناً، وحبلت به مريم البتول وولدت، وأخذ

¹ عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج 1، ص 93-94.

وصلب وقتل أمام فيلاطس الرومي، ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.

3. ونؤمن بالرب الواحد روح القدس، روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محييه.

4. وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة قديسية سليحية جاثليقية، وقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين. آمين.¹

والتسيحة التي ذكرها القاضي عبد الجبار لم يذكرها إلا في كتاب "تثبيت دلائل النبوة"، ولا تكاد تختلف عن القانون النيقوي القسطنطيني، المتبلور عن مجمع القسطنطينية، الذي انعقد بأمر من الإمبراطور ثيودوسيوس سنة 381م، وقد صدّقه مجمع خلقدونية سنة 451م،² ونصه كما يلي:

"1. نؤمن بياله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض. كل ما يُرى وما لا يُرى. وُرب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور. نورٌ من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. من جوهر واحد مع الآب. الذي به كان كل شيء.

2. الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. وتأنس. وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألّم وقُبر. وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب. وأيضاً يأتي بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه.

3. وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء.

¹ المصدر السابق.

² McGrath, *Christian Theology*, pp. 321-322.

4. وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة

الخطايا، ونترجى قيامة الموتى، والحياة في الدهر العتيد. آمين".¹

ويظهر من المقارنة بين صيغة النصارى وصيغة القاضي عبد الجبار أنهما تكادان تكونان

واحدة، فألفاظهما جد متقاربة، حتى إن القارئ ليخالجه احتمال نقل أحدهما عن الآخر.

كما أن الصيغة التي رواها القاضي عبد الجبار لا تفتقر كثيراً عن القوانين النصرانية الأخرى

التي ترويتها كتب اللاهوت المسيحي، كالقانون الرسولي،² والقانون النيقوي.³

ويظهر من المقطعين الأول والثالث من التسبيحة التي نقلها القاضي عبد الجبار أن

النصارى تعتقد في ألوهية كل من الآب والابن والروح القدس، وتسمي كل واحد

منها أقنوماً، وتعتقد أن ثلاثتها إله واحد، يقولون: "إن الخالق جوهر واحد ثلاثة

أقانيم، وإن أحد هذه الأقانيم آب، والآخر ابن، والثالث روح القدس، وإن الابن هو

¹ جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 8، س 4.

² القانون الرسولي: نسبة إلى الرسل؛ لأنهم في نظر النصارى هم الذين بلوروه، ونصه: «وأؤمن بالله الآب الضابط الكل، خالق السماء والأرض، ويسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا، الذي حُبل به من الروح القدس، ووُلد من مريم العذراء، وتألم على عهد بيلاطس البنطي، وصُلب ومات ودُفن ونزل إلى الجحيم. وقام أيضاً في اليوم الثالث من بين الأموات، وصعد إلى السماء، وهو جالسٌ عن يمين الله الآب الضابط الكل، وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات. وأؤمن بالروح القدس، وبالكنييسة المقدسة الجامعة، وبشركة القديسين، وبمغفرة الخطايا، وبقيامة الجسد، وبالحياة الأبدية. آمين».

(ولمعرفة المقصود راجع: جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 37 س 6-9 وفصل 49، س 8).

³ القانون النيقوي: المتبلور سنة 325م في مجمع نيقية المسكوني، ونصها: «نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، خالق كل الأشياء: ما يرى ما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله، المولود من الآب، المولود الوحيد أي من جوهر الآب. إله من إله، نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر (في الأصل: ذو جوهر واحد مع الآب). الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض. الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل وتجسّد وتألم، وقام أيضاً في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء. وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات. وبالروح القدس. وأما الذين يقولون إنه كان زمان لم يوجد فيه (ابن الله)، وإنه لم يكن له وجود قبل أن وُلد، وإنه خُلِق من العدم، أو إنه من مادة أخرى أو جوهر آخر، أو إن ابن الله مخلوق، أو إنه قابل للتغيير، أو متغير، فهم ملعونون من الكنييسة الجامعة الرسولية» راجع: McGrath, *Christian Theology*, pp.

321-322، وجيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 13، 16.

الكلمة، والروح هي الحياة، والآب هو القديس الحي المتكلم".¹
 وقد زاد القاضي عبد الجبار هذا المعتقد تفصيلاً في كتابه "المغني" بقوله: (إن مذهب جميع النصارى، إلا نفر منهم يسير، أن الله خالق الأشياء، والخالق حي متكلم، وحياته هي الروح التي يسمونها روح القدس، وكلامه هو علم، ومنهم من يقول في الحياة إنها قدرة. وزعموا أن الله وكلمته وقدرته قدماء، وأن الكلمة هي الابن، وهي عندهم المسيح، الذي ظهر في الجسد الذي كان في الأرض. ويختلفون في الذي يستحق اسم المسيح، فمنهم من يقول إنه الكلمة والجسد إذا اتحد بعضهما ببعض، ومنهم من يزعم أنه الكلمة دون الجسد، ومنهم من يزعم أنه الجسد المحدث، وأن الكلمة صارت جسداً محدثاً لما صارت في بطن مريم، وظهرت للناس. ويزعمون جميعاً أن الكلمة هي الابن، وأن الذي له الروح والكلمة هو الابن. ويزعمون أن هذه الثلاثة هي إله واحد وخالق واحد، وأنها من جوهر واحد".²

وبذلك يتضح أن القاضي عبد الجبار كان يرى أن النصارى تعتقد أن الله آب وحي ومتكلم، كل واحد من هذه القيود الثلاثة يدعى أقنوماً: فالآب أقنوم، والكلمة أقنوم ثان، والحياة أقنوم ثالث، وثلاثتها جوهر واحد، تشترك في الجوهرية والكينونة، إلا أن الآب هو المصدر، والآب هو الينوع الذي يتدفق منه الابن الوحيد بالولادة الأزلية بغير انفصال، وبكل خواصه وصفاته، كما أن الروح القدس قد صدر من الآب بالانبثاق الأزلي بغير انقطاع وبكل خواصه وصفاته؛ يقول القاضي: "إن الابن لم يزل مولوداً من الابن والآب والدا للابن، ولم تنزل الروح فائضة من الآب والابن".³ ولكل واحد من هذه الأقانيم ما لآخر من الخواص الجوهرية سوى الأقتومية؛ طالما هي متفقة

¹ عبد الجبار، المغني، ج، ص 81-82.

² المصدر السابق، ص 80.

³ المصدر السابق، ص 81-82.

في الجوهرية مختلفة في الأقتومية،¹ ولذلك "فإن الله الوالد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الآب الوالد ابناً مولوداً، ولا الابن المولود أباً والداً، وكذا الروح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى".²

فالآب هو الله من حيث الجوهر، وهو الأصل من حيث الأقتوم، والابن هو الله من حيث الجوهر وهو المولود من حيث الأقتوم، والروح القدس هو الله من حيث الجوهر، وهو المنبثق من حيث الأقتوم؛ أي إن الأقانيم الثلاثة تشترك معاً في جميع خواص الجوهر الإلهي الواحد، وتتمايز فيما بينها بالخواص الأقتومية؛ فالآب هو الأصل والينبوع في الثالوث، فهو أصل الجوهر وأصل الكينونة بالنسبة للأقتومين الآخرين، والابن أقتوم مولود من الآب، وله كينونة حقيقية، وغير منفصل عن الآب؛ "إله حق من إله حق، من جوهر أبيه"³؛ لأنه كلمة الله، والروح القدس أقتوم منبثق من الآب، وله كينونة حقيقية، وغير منفصل عن الآب؛ "روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محييه"⁴؛ لأنه روح الله.

والأقانيم الثلاثة لا يختلف أحدها عن الآخر إلا بما يتناسب مع خاصيته؛ فللابن كل خواص الآب الجوهرية، وكذا الروح، لكل منها ما للآب من صفات؛ كالحكمة والحق والعقل والحياة وغيرها؛ فالحق مثلاً هو خاصية يشترك فيها الأقانيم جميعاً؛ فالآب هو حكمة وحق وعقل ومحبة وحياة وقوة وفهم، من حيث الجوهر، والابن هو كذلك من حيث الجوهر، والروح القدس هو كذلك أيضاً من حيث الجوهر. وهذا ما يفسر سبب إضافة واضعي قانون الإيمان في تسبيحة الإيمان قيد أوموصون (*omoousion*)، الذي معناه "له نفس الجوهر"؛ لكي يؤكدوا أن أي صفة

¹ المصدر السابق.

² عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج1، ص93.

³ المصدر السابق، ص93-94.

⁴ المصدر السابق.

تنسب إلى الآب، سوف تنسب للابن أيضاً؛¹ فلا تمايز بينهما إلا بالخاصية الأقتنومية؛ و"لكل من الآب والابن والروح القدس ما لآخر من الألقاب والصفات الإلهية، إلا ما كان خاصاً بالأقتنومية، ويستحق كل منهم العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة"؛² فالآب لا ينفرد إلا بالأبوة، والابن لا ينفرد إلا بالبنوة، والروح لا ينفرد إلا بالروح؛ ومقتضى هذا أن كل صفات الآب هي للابن ما عدا أن الآب هو آب، والابن هو ابن، وكذا الروح روح، فالآب والد حي قادر قديم عالم خالق رازق، وإله هو ابن مولود كلمة حي قديم خالق رازق ليس بآب ولا والد، ولا يجوز أن يكون والدًا ولا أبًا، وإله روح قدس حي عالم قديم خالق رازق".³

وما ذكره القاضي عبد الجبار من تحليل هو نفسه ما أكدته القوانين النصرانية الثلاثة القديمة، النيقوي والقسطنطيني والأثناسي، والتي أشرنا إليها آنفًا، فكلها تؤكد أن "الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد. وهكذا الآب رب، والابن رب، والروح القدس رب، ولكنهم ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد"،⁴ يقول جيمس أنس: "كل أقنوم يتميز عن الآخر (لا مخلوقاً منه) في أقنوميته دون جوهره، ليس أنهم ثلاثة آلهة لأن الجوهر واحد، وليس الأقانيم مجرد تجليات مختلفة لجوهر واحد فقط؛ لأن الأقانيم هم ثلاثة لا واحد، بل إن الجوهر الواحد كائن في ثلاثة أقانيم؛ لا نقول في ثلاثة جواهر، ولا نقول في أقنوم واحد؛ لأن الجوهر ليس بمعنى الأقنوم ولا الأقنوم بمعنى الجوهر".⁵ ولا نبعد إذا لخصنا اللاهوت النصراني في مقولة واحدة، وهي: "لا إله إلا إله واحد، أب وابن وروح قدس".

¹ P. Schaff & H. Wace, N. & P.N. Fathers, Series 2, Letter 52, To the Canonicoe, Vol. VII, pp.155-156.

² جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 8، س 4.

³ عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج 1، ص 95.

⁴ جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 8، س 4، فصل 37 س 6-9، فصل 13: س 15-19، وفصل 49: س 8.

⁵ المصدر السابق، وانظر كذلك 321-322 McGrath, Christian Theology, pp.

بيان المصطلحات اللاهوتية النصرانية وترجمتها وما يعادلها عند القاضي

[الجدول البياني رقم 2]

المصطلح اليوناني	النطق العربي	الترجمة الإنجليزية	الترجمة العربية	مصطلح القاضي
οὐσία	أوسيا	Essence	جوهر	جوهر
φύσις	فيزيس	Nature	طبيعة	طبيعة
υποστάσις	هيبوستاسيس	Person	أقنوم	أقنوم
προσωπον	بروسوبون	Person	شخص	شخص

وهذه المقارنة تؤكد أن القاضي عبد الجبار كان على علم دقيق بقانون إيمان النصراني وألفاظها اللاهوتية، ومفاهيمها العقديّة، والعلاقات القائمة بين الأشخاص الإلهية، والتصور التوحيدي المختار كما يتجلى من الجدول البياني [رقم 2]. وبذلك يتأكد أن غي مونو كان بعيداً عن الصواب في ادعائه عدم اطلاع المفكرين المسلمين الأوائل عامة والقاضي عبد الجبار خاصة على دلالات المصطلحات اللاهوتية، وخفايا قانون الإيمان المسيحي، والعلاقات القائمة بين الأشخاص الإلهية والأقنيم الربانية. ومهما يكن، فلا يمكننا أن نتأكد من إلمام القاضي عبد الجبار بدقيق لاهوت النصراني إلا إذا فحصنا تصوره لألفاظهم العقديّة ودلالاتها، ثم قارناها بدلالاتها عند لاهوتي النصراني عنصراً عنصراً، لنعرف مدى إدراكه لمعتقداتهم واطلاعه على دقيق لاهوتهم.

وبتتبع كتابات القاضي عبد الجبار حول دلالات قانون الإيمان النصراني، يتبين أنها تقوم على ثلاثة أسس، وهي: القول بثلاثة أقنيم متميزة متساوية، والقول بوحدة الجوهر الإلهي، والقول بتاريخية المعتقد ومعقوليته، وسنهتم بتتبع تصور القاضي عبد الجبار لثلاثتها في العناصر الموالية.

القول بثلاثة أقانيم متمايزة متساوية

يؤمن النصارى بوجود ثلاثة أقانيم في الجوهر الإلهي، كل واحد منها أقنوم متميز؛ لأن الأَقنوم ترجمة لكلمة يونانية (*Hypostasi*)، مكونة من مقطعين: "هيپو" (*Hypo*) وهى تعنى تحت، و"ستاسيس" (*Stasis*) وتعني قائم أو واقف. وبهذا فإن كلمة هيپوستاسيس تعني القائم، وتعني لاهوتياً ما يقوم عليه الجوهر أو ما يقوم فيه الجوهر أو الطبيعة،¹ وهو كائن حقيقى له شخصيته الخاصة به، وله إرادة، ولكنه واحد في الجوهر والطبيعة مع الأَقنومين الآخرين بغير انفصال.²

ويؤكد القاضي عبد الجبار أن النصارى تؤمن بوجود الأَقانيم وألوهيتها، أقنوم "البارى عز وجل اسمه، وأقنوم الابن؛ أي الكلمة، وأقنوم روح القدس؛ أي الحياة"،³ ذكرها نص تسيبحة الإيمان بقوله: "نؤمن بالله الآب الأحد، خالق ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح، ابن الله بكر أبيه، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء، [...]، ونؤمن بالرب الواحد روح القدس، روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محيية".⁴ وما ذكره القاضي هنا لا يكاد يختلف عن فهوم النقاد المسلمين المعاصرين والسابقين له للإلهيات النصرانية، يقول الكندي الفيلسوف المعروف (ت252هـ): "إن فرقهم جميعاً يقرون أن ثلاثة أقانيم، لم تنزل جوهرها واحداً، يريدون بالأقانيم: أشخاصاً، وبجوهر واحد: أن كل واحد منهم موجود بخاصته".⁵ ويشير القاضي عبد الجبار إلى وجود فرق مسيحية بائدة كانت توحد الله، تنكر هذه الأَقانيم، وتنكر ألوهية المسيح.

¹ McGrath, *Christian Theology*, pp. 321-322

² المصدر السابق.

³ عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ج1، ص211.

⁴ عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج1، ص93-94.

⁵ الكندي، أبو يوسف إسحاق، مقالة في الرد على النصارى (بيروت: دار الكتب، 1995)، ص20.

وهذا ما يؤكد الحسن بن أيوب بقوله: "ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفاً منهم يعرفون بالأريوسية مجردون توحيد الله ويعترفون بعبودية المسيح التيلا، ولا يقولون فيه شيئاً مما يقوله النصارى، من ربوبية ولا نبوة خاصة، ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل مقرون بما حادثه تلاميذه، والحافلون عنه".¹

وقد حاول القاضي عبد الجبار أن يجرر معنى الأقنوم عند النصارى، فتبين أنهم اختلفوا في حقيقتها، "فقال بعضهم: إن الأقانيم هي الخواص، وقال بعضهم: أشخاص، وقال بعضهم: وجوه وصفات؛ فكأنهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة خواص وثلاثة أشخاص".² ويبدو أن سبب هذا التذبذب في ضبط المصطلح هو التعبير اللاهوتي ذاته. ومهما يكن فقد أجمعوا على تمايزها؛ "فإن الله الوالد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الآب الوالد ابناً مولوداً، ولا الابن المولود أباً والداً، وكذا الروح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى".³ وهي نفس العقيدة التي نظر لها لاهوتيو النصارى،⁴ فهذا القديس أغريغورس يقول: "لأجل هذه الحقيقة بعينها عن كونه: غير مولود أو مولود أو منبثق هو الذي أعطى الاسم الآب للأول والابن للثاني والروح القدس للثالث الذي نحن نتكلم بصدده فالتمايز بين الثلاثة شخوص محفوظ في الطبيعة الواحدة ومجد اللاهوت. ليس الابن هو الآب؛ لأن الآب واحد مع أن له ما للآب، وليس الروح القدس ابناً لأن الابن واحد مع أن الروح من الله؛ وله ما للابن. الثلاثة في الله الواحد والله الواحد ثلاثة في الخصائص. حتى لا تكون الوحدة سابيلية ولا التثليث له الوجه القبيح".⁵

¹ المصدر السابق.

² عبد الجبار، المغني، ج5، ص82.

³ عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج1، ص93.

⁴ جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 13، ص16.

⁵ Phillip Schaff & Henry Wace, *Nicene & Post Nicene Fathers*, Hendrickson Publishers June 1995, Vol.VII, Second Series., 5th Theological Oration (on the Holy Spirit), Article IX, p. 320.

ويوضح القاضي عبد الجبار أن النصارى ترجع في تحليلها للأقانيم إلى مفهوم صفات المعاني كما هي متبلورة في الدرس الكلامي؛¹ إذ يقولون: "إن الله خالق الأشياء، والخالق حي متكلم، وحياته هي الروح التي يسمونها روح القدس، وكلامه هو علم"²؛ فقد وصفوا الله بصفتين معنويتين: "حي" و"متكلم"، ومنهم قال بدل الحي "قادر"، ثم جعلوا صفات المعاني "الحياة" و"الكلام"، أو "القدرة" و"الكلام" أقنومين.³ ويزعمون أن هذه الثلاثة هي إله واحد وخالق واحد، وأما من جوهر واحد؛⁴ فكل أقنوم مشخص متعين، وتمتيز عن الآخر في أقنوميته دون جوهره، ولذلك يقولون ليس هم ثلاثة آلهة بدعوى أن الجوهر واحد في ثلاثة أقانيم، وكما هو للكل هو لكل واحد منها أيضاً، ولذلك يجزمون: "لا يلزمنا على قولنا بالأقانيم الثلاثة إثبات ثلاثة آلهة؛ لأننا نقول: إنها أقانيم ثلاثة، وإنه جوهر واحد في الحقيقة، وإنما يلزمنا ذلك لو أثبتناها متغايرة، وأثبتنا الجوهر غيرها"⁵، وهذا ما عبر عنه أحد القديسين القدامى: "إن أحادية الأصل هي ما نحفظه بتكريم. إنها مع ذلك أحادية الأصل غير المقصورة على أقنوم واحد بعينه. بل إنها ناشئة من تساوى الطبائع ووحدة الفكر وتطابق المشيئة والتتام المكونات نحو الوحدة"⁶، وعبر عنه جيمس المحدث بقوله: "لا نقول في ثلاثة جواهر، ولا نقول في أقنوم واحد؛ لأن الجوهر ليس بمعنى الأقنوم ولا الأقنوم بمعنى الجوهر".⁷

¹ الحق أن القول بالأقانيم ليس كالقول بصفات المعاني، ولقد أبعده القاضي عبد الجبار في تسويته بين القول بالأقانيم وقول الأشاعرة بصفات المعاني؛ ذلك أن الذين قالوا بصفات المعاني أرادوا أن الصفات قائمة بالذات الإلهية، قديمة قدم الذات، لكنهم لم يدعوا مرة أنها إله متعين كما ادعى النصارى، فأين التشابه؟؟

² عبد الجبار، المغني، ج 5، ص 80.

³ المصدر السابق.

⁴ المصدر السابق.

⁵ المصدر السابق، ص 88.

⁶ (Phillip Schaff & Henry Wace, *Nicene & Post Nicene Fathers*, Vol.VII, Second Series. Hendrickson Publishers June 1995, Article XVII 3rd Theological Oration (on the Son), Article II, p. 301)

⁷ جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 13، ص 20.

والأقانيم الثلاثة، الآب، والابن، والروح قدس، "متفقة في الجوهرية"¹ وجميع خواص الجوهر الإلهي الواحد، وتمايز فيما بينها بالخواص الأقتنومية كما اتضح أعلاه، ولا يختلف أحدها عن الآخر إلا بخصوصيات الأقتنوم، فلكل واحد منها ما للآخر، فللابن كل خواص الآب الجوهرية وصفاته الجمالية والجلالية، إلا ما كان خاصاً بالأقتنومية والأفعال.² ولذلك يصفون كل واحد منها بما يصفون به الآخر إلا ما تعلق بالأقتنومية، فيقولون "إنه هو أب والد حي قادر قديم عالم خالق رازق، وإله هو ابن مولود كلمة حي قديم خالق رازق ليس بآب ولا والد، ولا يجوز أن يكون والداً ولا أباً، وإله روح قدس حي عالم قديم خالق رازق، ثم قلت: ثلاثة أقانيم، فقلت في واحد منها إنه إله ورب وقديم، وامتنعتم من الإقرار بالجملة وقد أعطيتكم التفصيل".³

وما ذكره القاضي عبد الجبار هنا هو نفسه ما أكده لاهوتيو النصراني القدامى، أخص بالذكر القديس أناسيوس الرسولي،⁴ إذ يقول: "وبما أنهم واحد، واللاهوت نفسه واحد، والأشياء نفسها تقال عن الابن، والتي قيلت عن الآب، باستثناء كونه آب [...]، لماذا تنسب صفات الآب للابن؟ إلا لكون الابن هو نبع من الآب".⁵ إذن، فالصفات في

¹ عبد الجبار، المغني، ج 5، ص 81-82.

² المصدر السابق.

³ عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج 1، ص 121.

⁴ ولد القديس أناسيوس بمصر بين عامي 295 و298م، ولم يذكر المؤرخين اسمي والديه ولكنها كانا مسيحيين، عاشا بالصعيد، ثم رحلا إلى الإسكندرية. ولما مات والده أتت به أمه إلى البابا الكسندروس، فعلمها أصول المسيحية وعمدها، وقرت كل مالها على الفقراء، ومكثت عند البابا بطيريك، فعلم أناسيوس علوم الكنيسة، ورسمه البابا شماساً ثم سكرتيراً خاصاً له؛ واختير بطريكاً سنة 328م. اهتم بالرد على بدعة أريوس. وصحب البابا ألكسندروس إلى المجمع المسكوني الأول ببنقيية عام 325م، وهناك اشتهر بأنه مقاوم للأريوسية، وخطيب ومحاور، وأسهم بشكل كبير في وضع قانون الإيمان الأرثوذكسي الذي تردده الكنائس اليوم، وصار عمدة في التليث، ومساواة الابن بالآب. له عشرات من الكتب في اللاهوت. توفي سنة 373م.

http://www.antiochchair.com/library/saints/St.Athanasius_the-Great/his_life.htm (5/3/2008).

⁵ "And so since they are one, and the Godhead itself one, the same things are said of the Son, which are said of the Father, except His being said to be Father,] [, and why are the attributes of the Father ascribed to the Son, except that the Son is an Offspring from Him?", P. Schaff & H. Wace, *N. & P.N. Fathers*, series 2, Vol. IV, Eerdmans Pub. Company, Sept. 1978, *St. Athanasius, Four Discourses Against the Arians- Discourse III*, points 4 & 5.

تعلقها بالأقنوم تختلف بالاعتبار لا غير؛ فالآب الحكيم الذى ولد الابن الحكمة وبتق روح القدس روح الحكمة؛ والآب العاقل ولد الابن العقل (الكلمة)، وبتق روح القدس روح العقل؛ والآب الحقانى ولد الابن الحق، وبتق روح القدس روح الحق؛ والآب الحي ولد الابن الحياة، وبتق روح القدس روح الحياة؛ والآب القوي ولد الابن القوة، وبتق روح القدس روح القوة؛ والآب الفهيم ولد الابن الفهم، وبتق روح القدس روح الفهم، وجماع هذه الاعتبارات يلخصها [الجدول البياني 3].

بيان اعتبارات الصفات الإلهية وتعلقاتها - [الجدول البياني رقم 3]

الثالوث القدوس	الآب	الابن	الروح القدس
الصفات/الخواص	والد (الأبوة)	مولود (البنوة)	منبتق (الانبثاق)
حق	الحقانى (ينبوع الحق)	الحق	روح الحق
عقل	العاقل (ينبوع العقل)	العقل (الكلمة)	روح العقل
حكمة	الحكيم	الحكمة	روح الحكمة
محبة	المحب	المحبة	روح المحبة
حياة	الحي	الحياة	روح الحياة
قوة	القوي	القوة	روح القوة
الفهم	الفهيم	الفهم	روح الفهم

ويؤكد القاضي عبد الجبار أن النصارى تقر بتساوي الأقانيم، وتؤكد التمايز بينها في الخاصية الأقنومية، كما تؤكد في الأفعال الأقنومية، ولا ترى في الجمع بينهما تناقضاً، فثلاثتها متساوية في الجوهر مختلفة في الخاصية الأقنومية والأفعال؛ لأن "الإله في جوهره ليس بثلاثة، وإنما هو ثلاثة في أقنوميته"¹، ولذلك يؤكدون أنه "لا يلزمهم على قولهم بالأقانيم الثلاثة إثبات ثلاثة آلهة؛ بدعوى أنهم أثبتوا ثلاثة أقانيم، وجوهر

¹ عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ج1، ص110.

واحد في الحقيقة، ولم يثبتوها متغايرة، ولم يثبتوا الجوهر غيرها"¹.
وقد تم توضيح معنى التمايز في الخاصية الأتقومية في العنصر السابق. وأما التمايز على مستوى الأفعال، فيذكر القاضي عبد الجبار أنا "بيناهم يفردون كل واحد منها بفعل، وبيناهم يقولون: إن الأمر كله قد رجع على الابن"²، ويقصد هنا أن النصارى تارة ينسبون فعلاً إلى الآب، وتارة أخرى إلى غيره من الأقانيم، وتارة إليها جميعاً، فقد نسبوا فعل الخلق إلى الآب، فقالوا إن الآب "الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء"³ كما نسبوه إلى الابن، فقالوا: "إنه خالق السموات والأرض والأولين والآخرين، ورازقهم، وحبيهم ومميتهم وبعثهم وحاشرهم ومحاسبهم ومثيهم ومعاقبهم"⁴.
وما ذكرته ينهض دليلاً على تمكن القاضي عبد الجبار من الإلهيات النصرانية، ويثبت أن رأي غي مونو لا يقوم على مسكة من دليل. وما ذكره القاضي عبد الجبار في كتابه "تثبيت دلائل النبوة" يزيد ما ورد هنا عمقا، ويثبت مدى معرفته بعقيدة القوم. فقد ذكر أن النصارى قد جعلوا لكل أتنوم منها فعلاً لا يفعله الآخر، ولا يحق له⁵؛ ويوضح ذلك إجمالاً بقوله: (الله الوالد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الوالد ابناً مولوداً، ولا الابن المولود أباً والداً، وكذا الروح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى"⁶. ويقول القاضي عبد الجبار أيضاً: "إننا نجدكم تفردون كل واحد منها بالإنعام والإيمان كما هو مذكور في تسيحة الإيمان⁷، وتسيحة القربان،

¹ عبد الجبار، المغني، ج5، ص88.

² عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج1، ص11.

³ المصدر السابق، ص93-94.

⁴ المصدر السابق، ص94.

⁵ المصدر السابق، ص93-94.

⁶ المصدر السابق، ص93.

⁷ سبقت الإشارة إليها آنفاً، ونقلنا نصها فيما سبق، وراجع نصها في: المصدر السابق، ص93-94.

وتفردونها أيضاً بالصنع والأفعال والخلق والتدبير"،¹ فقد قالوا: إن الآب "الأحد، خالق ما يرى وما لا يرى"،² أزلي، يختار ويدعو،³ وهو الذي "اختلع من ملكه كله وجعله لابنه، فهو يخلق ويرزق ويحيي ويميت".⁴

وأما الابن فإنه "لم يزل مولوداً من الابن"،⁵ "بكر أبيه، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه"،⁶ وهو "النازل من السماء حتى صار في بطن المرأة، وصار هو وابنها بالاتحاد الذي فعله إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً، وأنه هو الذي أظهر الآيات في الأرض، وهو المقتول المصلوب، وهو الذي أحيا نفسه بعد الموت، وصعد على السماء وجلس عن يمين أبيه، فهذه الأفعال كلها الابن فعلها لا الآب"،⁷ وهو الذي يتولى عمل الفداء، ويكفر عن خطايا العالم، ومارس وظيفة النبي والكاهن والملك لأجل البشر، وسيقيم الأموات ويقضي بينهم ويدينهم في الآخرة.⁸

وأما الروح القدس فهو "روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محييه"،⁹ ولم تنزل الروح فائضة من الآب والابن"،¹⁰ كما تعتقد الكنيسة الغربية، أو من الآب فقط كما تعتقد الكنيسة الشرقية (راجع البيان4).¹¹

¹ المصدر السابق، ص110.

² المصدر السابق، ص93-94.

³ المصدر السابق، ص110.

⁴ المصدر السابق، ص111.

⁵ عبد الجبار، المغني، ج5، ص81-82.

⁶ عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج1، ص111.

⁷ المصدر السابق، ص110.

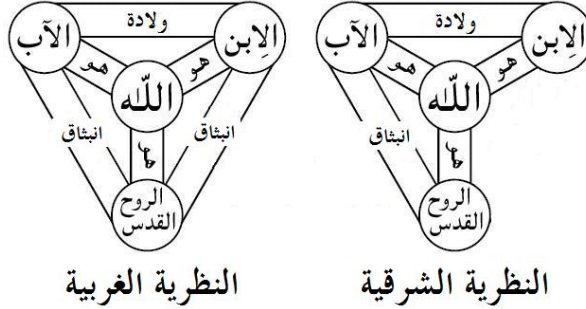
⁸ المصدر السابق.

⁹ المصدر السابق.

¹⁰ عبد الجبار، المغني، ج5، ص81-82.

¹¹ McGrath, *Christian Theology*, pp. 322-325.

النظرية التثليثية بين التصورين الشرقي والغربي (البيان رقم 4).¹



ومن أفعال الروح القدس التي يذكرها النصارى أن الآب أرسله لينير قلوب البشر ويرشدها ويمدها بالمعونة اللازمة ليفدي البشر، وأهم الأنبياء والكتبة ليدونوا الوحي. وتُنسب إلى ثلاثتهم أعمال مشتركة مثل خلق العالم وحفظه، وكلها امتيازات تختص بالأقنوم لا بالجوهر؛ لأن الجوهر في الثلاثة، وهو واحدٌ للآب والإبن والروح القدس، فلب لاهوت التثليث كما يقول جيمس: "تثليث أقنومي أزلي، في جوهر واحد إلهي".² إن ما ذكر هنا لينهض دليلاً يثبت أن القاضي عبد الجبار كان على علم بدقيق معتقد النصارى، وليدفع دعوى غي مونو أنه قولهم ما لم يقولوا.

القول بوحدة الجوهر الإلهي

بين القاضي عبد الجبار أن النصارى تعتقد أن الله جل وعلا جوهر ليس مادياً، ولذلك قال: "فإن قال منهم قائل: إنما قلنا بالأقنيم الثلاثة، وإنه جوهر واحد؛ لأن الأشياء لا تخلو من جوهر وعرض، والعرض لا يصح منه الفعل، فيجب كونه جوهرًا، والجوهر، على ضريبين، جسم، وما ليس بجسم، فالجسم يحتمل التركيب والتجزئة، فيجب أن يكون الإله ليس بجسم".³ وهذا ما أكده كل من الإمام الإيجي،⁴ والإمام

¹ <http://en.wikipedia.org/wiki/Trinity> (3/3/2008).

² جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 13، س 20.

³ عبد الجبار، المعنى، ج 5، ص 99.

⁴ الإيجي، المواقف في علم الكلام، ص 273.

القرافي،¹ والإمام الشهرستاني،² يذكرون أن النصارى يرون أن الله جوهر غير مادي، بدليل أن الموجودات قسمان: ما يفتقر في وجوده الى غيره، وما لا يفتقر، والأول هو ممكن الوجود لذاته، والثاني هو واجب الوجود لذاته؛ والممكن الوجود لذاته قسمان: جوهر وعرض. أما الجوهر فهو في تعريف الاسلامين: المتحيز لذاته الذي لا يقبل القسمة، بخلاف العرض، فهو المعنى المفتقر الى متحيز يقوم به،³ مما يؤكد أنهم كانوا على علم دقيق بمعتقد النصارى، ويثبت أنهم كانوا واعين أن النصارى في وصفهم الله بالجوهريّة لا يعنون أنه جسم مادي البتة.

ومهما يكن مراد النصارى بالجوهر، فإن القاضي عبد الجبار يرفضه وينكر إدراج الألوهية تحت أحد القسمين، الجوهر أو العرض، مهما كان السبب؛ ودليله: "إنه تعالى ليس جوهرًا، إذ لو كان جوهرًا لكان محدثًا، وقد ثبت قدمه، ففسد قولهم إنه جوهر ثلاثة أقانيم"،⁴ ويبدو هنا جليًا أن القاضي عبد الجبار يرفض هذا الاطلاق لما فيه من دلالة حدوث التي لا يصح أن تضاف له جل وعلا؛ إذ أن الإطلاق يقتضي الإلتزام بمضامين الكلمة ودلالاتها المختلفة، ولذلك فقد رفضته الاتجاهات الكلامية الأخرى، بدليل أن "الموهومات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت"،⁵ وبدليل أن "الباري تعالى لا يوصف بشيء من هذا من طريق الاستدلال، لكن من طريق السمع خاصة، ولا يصح لهم دليل، لا من إنجيلهم، ولا من غيره من الكتب، أن العلم يسمى ابنًا، ولا في كتبهم أن علم الله هو ابنه".⁶ فأسماء الله توقيفية لا توفيقية، ومع ذلك

¹ القرافي، شهاب الدين أحمد، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة (بيروت: دار الكتب العلمية، 1986)، ص42.

² الشهرستاني، الملل والنحل (بغداد: دار المتني، دت)، ص60.

³ القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص42.

⁴ عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ج1، ص211.

⁵ القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص42.

⁶ ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج1، ص50.

فإنهم لم يمتنعوا من دراسة إمكانية هذا الإطلاق عقلاً ولغة، فنجد في كثير من ردود الاسلاميين تعقيبات حول اطلاق لفظة الجوهر على الله.¹

ويؤكد القاضي عبد الجبار أن تمايز الأقانيم في نظر النصارى لا يقتضي التعدد في الذات الإلهية ولا التكثر؛ إذ هي "مختلفة في الأتومية متفقة في الجوهرية"،² فلا جرم أن "الإله في جوهريته ليس بثلاثة، وإنما هو ثلاثة في أفتوميته".³ وقال بعضهم: "لا نقول مختلفة، لكننا نقول: إنها أقانيم ثلاثة متفقة في أنها جوهر واحد فقط"⁴ أي إن التعدد أفتومي في اللاهوت، ولا يطال الجوهر بحال من الأحوال، ويرفضون فكرة ثلاثة آلهة متغايرة،⁵ ويرون أنها لا تلزمهم، بدعوى "إنها أقانيم ثلاثة، وإنه جوهر واحد في الحقيقة، وإنما يلزمهم ذلك لو أثبتوها متغايرة، وأثبتوا الجوهر غيرها".⁶ فلا تعدد آلهة، ولا تكثر في ذاته الله، لا في كينونته ولا في جوهره، فهو واحد، كما يرفضون أن يكون معنى ثلاثة أقانيم ثلاثة جواهر أو "ثلاثة آلهة، بل إله واحد".⁷

ويؤكد القاضي عبد الجبار أن "النظار منهم والمجادلين عنهم إذا سألتهم عن قولهم في المسيح، قالوا: قولنا فيه إنه روح الله وكلمته مثل قول المسلمين سواء، أو يقول إن الله واحد، [...]، وما أكثر ما تلقى منهم فيقول: ما قلنا في المسيح إنه الله، ولا قلنا إن الله ثالث ثلاثة، ومن حكى هذا عنا فقد أخطأ وكذب".⁸ وهذا ما يؤكد لاهوتيو

¹ المصدر السابق، والقراي، الأجابة الفاخرة، ص42، والإيجي، المواقف في علم الكلام، ص273، والشهرستاني، الملل والنحل، ص60.

² عبد الجبار، المغني، ج5، ص82.

³ عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ج1، ص110.

⁴ عبد الجبار، المغني، ج5، ص82.

⁵ عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج1، ص95.

⁶ عبد الجبار، المغني، ج5، ص88.

⁷ جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل13، س20.

⁸ عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج1، ص92.

النصارى، إذ يقول القديس باسيليوس الكبير:¹ "في عبادتنا إله من إله، نحن على حد سواء، نعترف بتمايز الأقانيم، وفي الوقت نفسه نبقي على التوحيد.² نحن لا نقطع اللاهوت إلى تعدد منقسم؛ لأن شكلاً واحداً، متحداً في اللاهوت غير المتغير، يرى في الله الآب، وفي الله المنجب الوحيد. لأن الابن هو في الآب، والآب في الابن؛ لأنه كما الأخير هكذا هو الأول، وكما هو الأول هكذا هو الأخير، وبهذا تكون الوحدة. حتى أنه وفقاً لتمايز الأقانيم، فإن كليهما هما واحد وواحد، ووفقاً لوحدة الطبيعة فإنهما واحد. كيف إذن، إن كانا واحد وواحد لا يكون هناك إلهين؟"³

وما ذكره القاضي عبد الجبار هو ما أكده القديس أناسيوس بقوله: "لا يمكننا أن نتصور وجود ثلاثة جواهر منفصلة عن بعضها البعض في الله، كما ينتج عن الطبيعة البشرية بالنسبة للبشر؛ لثلاث نصير كالثنتين"⁴، كما نجد القس جيمس أنس ينتصر لذلك

¹ باسيليوس الكبير (330-379)، من أشهر آباء الكنيسة الأوائل المبجلين عند مختلف الطوائف المسيحية المعاصرة، ولد بقصرية قبدوقية، سنة 330م، اعتنق الحياة النسكية، وسن لها القوانين الكثيرة، ولا يزال الكثيرون من رهبان الشرق يسرون عليها، وصار أسقفاً على مدينته، فصار بعلمه وقلمه من أكبر أعلام الكنيسة، وخلف آثاراً عديدة في مسائل اللاهوت، ما زالت تعد مرجعاً أساسياً لمختلف الكنائس المسيحية، القديمة والمعاصرة، الكاثوليكية والبروتستانتية والأورثوذكسية، ولذلك فقوله فصل في هذه المسائل. (باسيليوس الكبير) (2/3/2008) (www.christusrex.org)

² Monarchy: ترجمتها توحيداً بناء أصلها اليوناني (μονος)، والذي معناه التوحيد، وهو المعنى الذي يفهمه المعاصرون.
³ "Worshipping as we do God of God, we both confess the distinction of the Persons, and at the same time abide by the Monarchy. We do not fritter away the theology in a divided plurality, because one Form, so to say, united in the invariableness of the Godhead, is beheld in God the Father, and in God the Only begotten. For the Son is in the Father and the Father in the Son; since such as is the latter, such is the former, and such as is the former, such is the latter; and herein is the Unity. So that according to the distinction of Persons, both are one and one, and according to the community of Nature, one. How, then, if one and one, are there not two Gods?" (P. Schaff & H. Wace, N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. VII, Eerdmans Pub. Company, Nov. 1978- The Book of Saint Basil on the Spirit, Chapter 18, p. 28).

⁴ "Neither can we imagine three Subsistences separated from each other, as results from their bodily nature in the case of men, lest we hold a plurality of gods like the heathen". (P. Schaff & H. Wace, N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. IV, Eerdmans Pub. Company, Sep. 1978, St. Athanasius, Expositio Fidei (Statement of Faith) pp. 84, 85.

بقوله: "فالمسيحيون يؤمنون بالله الواحد، الموجود بذاته، الناطق بكلمته، الحي بروحه"¹، ويوضح هذه الفكرة أكثر، فيقول: "إذا قلنا ثلاثة أقانيم إلهية أشرنا بذلك إلى اتحاد جوهرى، أي إلى ثلاثة في طبيعة واحدة لا نوعية بل جوهرية، أي في الذات الواحدة.

فأقانيم اللاهوت هي في جوهرٍ واحدٍ فردٍ، لا في جوهرٍ واحدٍ نوعي. فالتعدد الأقنومي في اللاهوت لا يلحق الجوهر، بخلاف التعدد الأقنومي في البشر؛ لأنه في البشر يقوم بتعدد الجواهر والأقنوم معاً؛ فكل من الآب والابن والروح القدس هو باعتبار أقنومه في الذات الواحدة، ولكلٍ منهم جوهر اللاهوت الواحد بلا انقسام ولا انفصال"²، ويقول أيضاً: "فكل أقنوم يتميز عن الآخر، لا مخلوقاً منه، في أقنوميته دون جوهره، ليس أنهم ثلاثة آلهة؛ لأن الجواهر واحدٌ، وليس أن الأقانيم مجرد تجليات مختلفة لجوهر واحد فقط؛ لأن الأقانيم هم ثلاثة لا واحد، بل أن الجوهر الواحد كائن في ثلاثة أقانيم، لا نقول في ثلاثة جواهر، ولا نقول في أقنوم واحد؛ لأن الجوهر ليس بمعنى الأقنوم ولا الأقنوم بمعنى الجوهر"³.

ونجد نفس التصور عند القديس إغريغوريوس⁴ في قوله: "إن أحادية الأصل هي ما نحفظه بتكريم. إنها مع ذلك أحادية الأصل غير المقصورة على أقنوم واحد بعينه. بل

¹ جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 13، س 1.

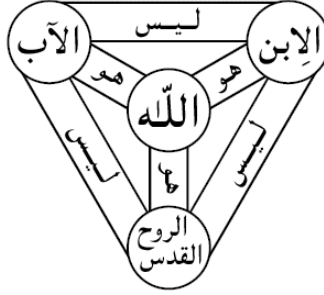
² المصدر السابق، س 20.

³ المصدر السابق.

⁴ هو إغريغوريوس القديس نازيانزي (330م — نحو 390م) من آباء الكنيسة الأوائل ومعلمها، يحظى باحترام كل الكنائس المعاصرة. وُلِدَ من عائلة مسيحية أرستقراطية، سنة 330م تقريباً. كان مولعاً بالدراسة، فغادر إلى الإسكندرية ثم أتينا لطلب العلم، ونال سر المعمودية من والده أسقف مدينة نازيانزي آنذاك، وصار معلم بلاغة في مدينته، وصديقاً حميماً لباسيليوس القيصري (الكبير)، وقد قضى معه بعض الزمن في حياة التصوّف. وجمع معه مختارات من كتابات أوريجانوس وهي المسماة فيلوكالياً *filokalia* (باليونانية تعني "محبة الجمال"). ورسم كاهناً عام 362م. وفي عام 379م دعي إلى مدينة القسطنطينية لمحاربة بدعة الآريوسيين الذين نححو في الوصول إلى حكم تلك الكنيسة، فقبل هذه المهمة التي استغرقت سنتين، وعاد سنة 381 إلى نازيانزي، وبقي هناك حتى وفاته. من أعماله 45 عظة، 243 رسالة، 407 قصيدة عقائدية وأخلاقية. ومن أشهر كتاباته إحدى القصائد التي يتحدث فيها عن حياته الشخصية. (إغريغوريوس) (2/3/2008) (www.christusrex.org)

إنها ناشئة من تساوى الطبائع ووحدة الفكر وتطابق المشيئة والتتام المكونات نحو الوحدة -وهي ما تعجز الطبائع المخلوقة أن تصله. حتى أنه رغم التعددية فليس هناك أبداً انقسام في الجوهر".¹

وهذا ما لخصه بعض المسيحيين بالشكل البياني الآتي:²



الشكل البياني رقم 5

وبين القاضي عبد الجبار أن النصارى يرون أنه لما توحد الجوهر، كانت الأقانيم الثلاثة مشتركة فيه وفي كل صفاته، ولذلك استحقت الصفات نفسها، إلا ما تعلق بالأقنومية؛ إذ يقولون: "إنه هو أب والد حي قادر قديم عالم خالق رازق، وإله هو ابن مولود كلمة حي قديم خالق رازق ليس بآب ولا والد، ولا يجوز أن يكون والدًا ولا أبًا، وإله روح قدس حي عالم قديم خالق رازق، ثم قلتهم: ثلاثة أقانيم، فقلتهم في واحد منها إنه إله ورب وقديم، وامتنعتم من الإقرار بالجملة وقد أعطيتهم التفصيل".³ وهذا

¹ "But Monarchy is that which we hold in honour. It is however, a Monarchy that is not limited to one Person, but one which is made of an equality of Nature and a union of mind, and an identity of motion, and a convergence of its elements to unity—a thing which is impossible to the created nature—so that though numerically distinct there is no severance of Essence". (Phillip Schaff & Henry Wace, *Nicene & Post Nicene Fathers*, Vol.VII, Second Series. Hendrickson Publishers June 1995, Article XVII 3rd Theological Oration (on the Son), Article II, pp. 301.

² www.ar.wikipedia.org (الثالوث) (3/3/2008)

³ عبد الجبار، تنبيت دلائل النبوة، ج 1، ص 95.

ما يؤكد كده القس جيمس أنس بقوله: "الأقانيم الثلاثة مشتركون في الجوهر الواحد الإلهي والابن والروح القدس مشتركان في مجد الآب وفي حكمته وقدرته وقداسته وعدله وجميع صفاته بدون استثناء، ويستحقان ما يستحقه من المجد والتسبيح والعبادة والكرامة والثقة. فمن رأى الابن رأى الآب، ومن شعر بحلول الروح القدس وتأثيره فيه، عرف الآب والابن. وقد اشترك الأقانيم الثلاثة في عمل الفداء اشتراكاً تاماً، غير أن كلاً منهم متميز عن الآخر وظيفةً وعملاً، لأن لكل منهم عملاً خاصاً. ويمكن أن نلخص هذا التعليم الهام بالقول: "تثليث أقنومي أزلي، في جوهر واحد إلهي".¹

ولذلك لا تنسب الكينونة إلى الآب فقط، ولا العقل إلى الابن وحده، ولا الحياة إلى الروح القدس وحده، لأنه في نظرهم سيقسم الجوهر الإلهي الواحد إلى ثلاثة جواهر مختلفة، ويفصل بينها،² ويؤدي إلى اختصاص الآب بالجوهر طالما أن له وحدته الكينونة، وهذا ما ينفي الجوهر عن الابن والروح القدس ويلغى كينونتهما، ويحولهما إلى صفات لأقنوم إلهي وحيد هو أقنوم الآب،³ كما رأى سايبيلوس،⁴

¹ جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 13، س 20.

² صبحي الصالح وفريد جبر، ملحق فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية، ج 2، ص 293.

³ P. Schaff & H. Wace, *Nicene & Post Nicene Fathers*, series 2, Vol. VII, Eerdmans Pub. Company, Sept. 1978, Gregory Nazianzen, Fifth Oration on the Holy Spirit p.328

⁴ ولد سايبيلوس في نهاية القرن الثاني ومات عام 261 م، من ليبيا، تعلم في روما، وصار كاهناً في مصر، وعلم فيها أن الله نفسه هو الذي كفر عن خطايا البشر، وأكد أنها وجوه ثلاثة وليست طبيعة في جوهر الله؛ وليست الكلمات «آب وابن وروح قدس» أسماء أقانيم متميزة، بل أسماء مظاهر أقنوم واحد، سُمي الآب لأنه الخالق، وسُمي الابن؛ لأنه الفادي، وسُمي الروح القدس؛ لأنه المعزي والمقدس. سمي الله قبل التجسد (آب)، وفي تجسده يسمى (ابن)، وفي عطايه يسمى (الروح القدس). وقد عقد ديونيسيوس الإسكندري مجمعاً في الإسكندرية سنة 261م حرم فيه سايبيلوس ولكن أتباعه لجأوا إلى أسقف رومية وكان يدعى ديونيسيوس أيضاً واتهموا بطريكتهم الإسكندرية بالهرطقة. وفي تسرع حرم الأسقف الروماني البطريرك الإسكندري وأرسل له رسالة إلى الأسقف ديونيسيوس الروماني أفهمه فيها بالأمر فشرع أسقف رومية بخطأه وانتهى النزاع الذي يسمونه تاريخياً " نزاع الدينيسيون". جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 13، س 11.

وآريوس،¹ وأوسابيوس.²

القول بتاريخية هذا المعتقد ومعقوليته

كان يمكنني أن أكتفي بما سبق لأثبت أن قراءة غي مونو لنصوص القاضي عبد الجبار غير موفقة؛ لأن سؤال البحث الرئيس: هل فهم المتكلمون مسيحية وقتهم أم لا؟ ولكن آثرت أن أكمل هذا البحث لأبين أن القاضي عبد الجبار قد استوعب النصرانية ومستنداتها المختلفة، وهذا ما يمكن أن يعطي أهمية لنصوص القاضي عبد الجبار، لم تثر اهتمام غي مونو، ولم يكن محل سؤاله.

لقد تبين للقاضي عبد الجبار أن النصارى يرون أن القول بثلاثة أقانيم جوهر واحد أنها عقيدة كتابية، تاريخية، ومنطقية. وهتم في كتابيه "شرح الأصول الخمسة" و"المغني" بتقصي البعد الأخير، بينما اهتم في كتاب "تثبيت دلائل النبوة" بتتبع البعدين الأولين، بما لا تجده في كتاب غيره، وقد كان شاعراً بسبقة العلمي في ذلك، حتى

¹ الأريوسية مذهب مسيحي ظهر في القرن الرابع على يد كاهن اسكندري آريوس (256-336م)، تلقى تعليمه اللاهوتي في أنطاكية في مدرسة لوقيانوس، وخدم في الأسكندرية. كان آريوس ذو موهبة في الخطابة فصيحاً بليغاً قادراً على توصيل أفكاره بسلاسة بين العامة والمفكرين ونشر آريوس أفكاره عن المسيح مستغلاً مركزه كشماس وواعظ في الأسكندرية. يعتقد هذا المذهب ببشرية المسيح، ويقول إن الابن الكلمة المسيح ليس بإله، ابن الله تكريماً وتكويناً، وليس مساواة أو مشاركة في ذات الطبيعة الإلهية، وعلى هذا فالكلمة ليس أزلي ولكن مخلوق خاضع لله؛ فالآب هو الأصل، وأن الابن والروح القدس مخلوقان منه، ولو أن لهما المقام الأول بين الخلائق، وطبيعتيهما تشبهان طبيعته. فالرأي الأريوسي ينادي بأن الآب وحده هو الله، وأن الابن والروح القدس لا يشتركان في الطبيعة الإلهية. وهذا يخالف شهادة الوحي. وقد لُخص المذهب الأريوسي بما يأتي: أ. يتوقف وجود الابن على مشيئة الآب. ب. ليس الابن أزلياً، فقد مضى زمان لم يكن الابن موجوداً فيه. ج. خلق الابن من لا شيء. د. الابن متغير. هـ. يعود فضل الابن إلى أنه وحده مخلوق من الله، تمييزاً له عن بقية الخلائق التي خلقت به. و. ليس الابن إلهاً بذاته، لكنه صار بمنزلة إله بسبب ارتقاء طبيعته، وعلاقته بسائر الخلائق كخالق وملك يستحق العبادة. جيمس، علم اللاهوت النظامي، ف 13، س 11.

² P. Schaff & H. Wace, *N. & P.N. Fathers*, series 2, Vol. VII, Eerdmans Pub. Company, Sept. 1978, Gregory Nazianzen, "Fifth Oration on the Holy Spirit", pp. 328.

قال: "قد اتفق من حكايات أقوالهم والرد عليهم ما لا يكاد يوجد في كتاب، لاسيما حكاية تسايحهم وأقاويل رؤسائهم، فاحتفظ بذلك فإنك لاتكاد تجده في كتاب وبك إلى حفظه أمس الحاجة".¹

وتحتاج الأبعاد الثلاثة للتثليث المشار إليها آنفاً منا تنويهاً لنعرف مدى اطلاعه على مستندات القول بجوهر واحد ثلاثة أقانيم، أرسمها كما يلي:

أ. عقيدة كتابية (Biblical theology):

يرى النصارى أن القول بالتثليث يستند إلى أدلة نقلية من الكتب المقدسة، فقد قال فيه: "إن الله قال: نريد أن نخلق بشراً على صورتنا ومثلنا، فيقولون: هذا خطاب جماعة، أما تسمعونه، يقول: نريد، ولم يقل أريد أن أخلق بشراً مثلي، لتعلموا أن الآلهة جماعة".² وهو الأمر الذي ينفيه القاضي عبد الجبار مؤكداً أن القول بأن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم، لم ينص عليها الكتاب المقدس البتة، وإنما هي تأويلات لمواضع منه، واستنتاجات تفسيرية لا غير، يقول في ذلك: "وقد بلغ الجهل بالنصارى في بدعهم هذه أنهم يقصدون إلى ألفاظ في التوراة، وفي كتب الأنبياء محتملة، يحملونها على ظنونهم السيئة، وبدعهم هذه الفاحشة، فيقولون: إنما أراد إبراهيم وموسى وهارون وسائر الأنبياء، وهو ما أردناه من أن الله ثالث ثلاثة، وأن الأرباب جماعة، وأن الله يصعد ويزل، ويولد ويقتل، فيقصدون إلى ما في التوراة من ان الله قال: نريد أن نخلق بشراً على صورتنا ومثلنا، فيقولون: هذا خطاب جماعة، أما تسمعونه، يقول: نريد، ولم يقل أريد أن أخلق بشراً مثلي، لتعلموا أن الآلهة جماعة".³

ويظهر هنا جلياً أن القاضي عبد الجبار يرى أن ما تدعيه النصارى دلائل نقلية على التثليث والقول بالأقانيم هو مجرد تأويلات لا يدعمها العقل، ولا يسندتها النقل ولا

¹ عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج1، ص198.

² المصدر السابق، ج1، ص115.

³ المصدر السابق.

الرواية، لا من التوراة، ولا من كتب الأنبياء ولا من الأناجيل، ولا من القرآن.¹ التزموا بها لما أرادوا الجمع بين ما تحصل لديهم من اعتقاد في التثليث وبين ما آمنوا به من توحيد في العهد القديم، وبذلك جمعوا بين التوحيد والتثليث، يقول القاضي: "والذي يمنع النصرارى من إطلاق القول بأنها ثلاثة آلهة متغايرة مختلفة، وإن كانوا قد أعطوا معنى ذلك؛ إلا لأهم صدقوا بكتاب الله عزوجل التي صدق بها المسيح، وهي مملوءة بتوحيد الله وتفرد به بالقدم، وأنه لا يشبه الأشياء، إنما هي البدع ابتدعوها بعد المسيح، أرادوا حمل بدعتهم في الشرك على ما في كتب الله، فلم يتم ذلك، وحصلوا على محض الشرك والتشبيه".²

ويوافق القس جيمس أنس رأي القاضي عبد الجبار في نفي وجود دليل جامع للقول بجوهر واحد ثلاثة أقانيم؛ إذ يؤكد أن القول بجوهر واحد ثلاثة أقانيم لم يرد في الكتاب المقدس جملة واحدة، يقول: "لم يرد تعليم وحدانية الله وتمييز الأقانيم أحدها عن الآخر ومساواتها في الجوهر وعلاقة أحدها بالآخر في الكتاب المقدس جملة واحدة بالتصريح، بل في آيات متفرقة؛ غير أن جوهر هذه الأمور منصوص عليه من أول الكتاب لآخره. ومن الأمور التي تثبت صحة هذا الاعتقاد".³ وما أشار إليه بقوله: "بل في آيات مختلفة" هو ما عناه القاضي عبد الجبار بالتأويلات الباطلة، وهذا ما يبين أن الخلاف بين القراءتين خلاف حول أسس القراءة والتفسير اللاهوتي، فإذا كان جيمس يؤكد أنه "يتضح من الكتاب المقدس لاهوت الآب كما يتضح لاهوت الابن، ويتضح لاهوت الروح القدس كما يتضح لاهوت الآب والابن"،⁴ فإن القاضي عبد الجبار يجزم أنهم يقصدون إلى ألفاظ في التوراة، وفي كتب الأنبياء محتملة، يحملونها على ظنوتهم السيئة، وبدعهم هذه الفاحشة".⁵ وما طرحه القاضي عبد الجبار لا يبعد

¹ المصدر السابق.

² المصدر السابق، ص 115-116.

³ جيمس، علم اللاهوت النظامي، فصل 13، ص 7.

⁴ المصدر السابق.

⁵ عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج 1، ص 115.

عما توصل إليه أليستر Alister، إذ يرى أن مستند النصارى في القول بالتثليث هو عددان (متى 28: 19- وكورنثياس 13: 13)، مع أن تفسيرهما يَحتمل معنى آخر،¹ عددان فقط، الأمر الذي يثبت أن المفكرين المسلمين كانوا على علم بالمستندات النقلية والقول بالجوهر الواحد ثلاثة أقانيم، وعلى إمام بمنهجية القراءة والتفسير اللاهوتي النصراني في هذه المسألة.

ب. عقيدة تاريخية (Historical theology):

أي أنها كانت عقيدة النصارى من عهد المسيح إلى وقته، طيلة التاريخ، وأن واضعها هو السيد المسيح ﷺ،² ولكن بيانها وتعبيرها تبلور بعد السيد المسيح بالدهر الطويل،³ وعلى مراحل متعاقبة؛⁴ ولم تكتمل إلا في مجمع نيقية سنة 325م، حيث تبلورت "تسيحة الإيمان"، وكان هذا "بعد المسيح ﷺ بنحو ثلاثمائة سنة، حين جمعهم قسطنطانوس بن فيلاطس، ملك الروم، الذي أمه هيلانه الحرائية الفندقية، جمعهم ليعملوا تقريراً في إيمانهم، يحملون الناس عليه، ويأخذونهم به فمن أبي قتلوه، واجتمع عنده نحو ألفي رجل، فقرروا تقريراً ثم رفضوه، ثم اجتمع عنده ثلاثمائة رجل وثمانية عشرة رجل، وهم يسمونهم الآباء، فقرروا هذا التقرير، وهم يسمونه

¹ Alister says: "The casual reader of Scripture will discern a mere two verses in the entire Bible which seem, at first glance, to be capable of a Trinitarian interpretation: (Mathiew28: 19), and (Corinthians13: 13). Both these verses have become deeply rooted in the Christian consciousness, the former on account of its baptismal association, and the latter through the common use of the formula in Christian prayer and devotion. Yet these two verses, taken together or in isolation, can hardly be thought of as constituting a doctrine of the trinity". McGrath, *Christian Theology*, p. 320. And he also says: "The doctrine of the trinity can be regarded as the process of sustained and critical reflection on the pattern of divine activity revealed in scripture, and continued in Christian experience. This is not to say that scripture contains a doctrine of the trinity, rather, scripture bears witness to a God who demands to be understood in Trinitarian manner". McGrath, *Christian theology*, p. 321.

² عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج 1، ص 103.

³ المصدر السابق.

⁴ المصدر السابق، ص 115-116.

السنهودس".¹ ويظهر من هذا النص أن مجمع نيقية الأول لم ينجح في تقرير رأي عقدي راجح. ثم اجتمعوا ثانية فقرروا "تسيحة الإيمان"، التي صارت تسمى بقانون الإيمان فيما بعد، والتي جمعت أصول العقائد المسيحية ذات الصلة بالإلهيات والكريستولوجيا، وما ذكره القاضي عبد الجبار لا يختلف عما تقرره كتب اللاهوت في تأريخ تطور قانون الإيمان المسيحي.²

ج. عقيدة منطقيّة (Logical theology):

يذكر القاضي عبد الجبار أن النصارى قد استندوا أيضاً في قولهم بالتثليث إلى أدلة عقلية، أصلوا لها أصولاً تعقلن، وخرّجوا عليها فروع لاهوتهم، وأثبتوا لاهوت القول بجوهر واحد ثلاثة أقانيم، وألوهية كل واحد منها، لتصير منطقيّة، نكتفي هنا بذكر دليل واحد مما احتفى به القاضي عبد الجبار كثيراً نقداً ومدارسة، ومنطوقه: "إنما قلنا الأقانيم ثلاثة، وإنه جوهر واحد؛ لأن الأشياء لا تخلو من جوهر وعرض، والعرض لا يصح منه الفعل، فيجب كون الإله جوهرًا. والجوهر على ضربين: جسم وما ليس بجسم، فالجسم يتحمل التركيب والتجزئة، فيجب أن يكون الإله ليس بجسم. ولا يخلو من كونه حياً أو ليس بحي، والموات لا يكون منه اختيار ولا تمييز ولا فعل، وأثبتناه حياً، والحي ينقسم إلى ناطق وإلى ما ليس بناطق، فما ليس بناطق لا يكون موصوفاً بتمييز ولا حكمة، فيجب كونه ناطقاً، فنثبت كونه جوهرًا حياً ناطقاً. ولا يخلو عند ذلك من أن يكون حياً ناطقاً؛ لأنه جوهر وبجياة ونطق، وإن كان ذلك؛ لأنه جوهر، وجب كون كل جوهر ناطقاً حياً، فنثبت أنه ناطق حي بجياة ونطق، ويجب كونهما من نفس الجوهر؛ لأنهما ليسا بحادثين فيه، لأنه قديم غير محدث. قالوا: فيجب أن يكون الجوهر هو الأب، والحياة هي الروح، والنطق هو الكلمة، وهو الابن. وربما زادوا بأن قالوا: والحي على ضربين، ضرب يمكنه الولاد، وآخر لا يمكنه

¹ المصدر السابق، ص 93-94.

² Mcgrath, *Christian Theology*, pp. 322 – 324.

ذلك، فيكون منقوصاً، فوجب أن يكون الإله يمكن فيه الولادة، وذلك يوجب كونه أباً. فلذلك قلنا: أب وابن وروح القدس، وجعلنا الروح هي الحياة، والابن هو النطق والكلمة".¹ وليس عسراً على مدقق أن يستخلص من هذا النص أن القاضي عبد الجبار كان مطلعاً على الالهيات النصرانية ومحكماً لمصطلحاتها الأساسية، فاقها كونها: الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم، أب وابن وروح قدس، مدركاً أوجه اختلاف النصارى في تفسير هذه المصطلحات.

النتائج

توصل هذا البحث إلى نتائج نقدية، وهي:

1. تبين أن مستندات غي مونو في حكمه على الجدل الإسلامي المسيحي ليست مسلمة من البداية، فقد أقام مقارنته بين التصور الإسلامي للتثليث والتنظير المسيحي، من خلال كتاب المغني كما صرح، دون أن يبين كيف توصل لبلورة نتائج، ولم يفصح عن طريقته في ضبط معاني مصطلحات النصوص التي تخيرها، مما جعل نتيجته غير ذات معنى، وبالتالي غير مسلمة.

2. تبين من النصوص المدرجة في هذا البحث أن "المغني" ناطق مصرح بعقيدة النصارى في التثليث، كشق فيه القاضي عبد الجبار عن اطلاع دقيق وتحليل لطيف، لا تجاد تجده عند النقد، تتبع فيه فيه أقوال القوم وبين تفاصيل معتقدتهم. ولقد كان مان يمكنني الاكتفاء به للرد على دعوى اغي مونو، ولكنني آثرت توظيف كتابيه الآخرين، تكثيراً للشواهد بما يزيد النتيجة يقيناً وتبصيراً بأهمية جهود متكلمين في فقه معتقدات الآخر، وأمانتهم في نقل أقوالهم، وموضوعيتهم في الوصف، بما يثبت قيمة منهجيتهم، وينهض دليلاً على انفتاح آفاقهم، ويقف حجة أمام من يقول إن المتكلمين لم يدرسوا أديان الآخرين، وإنما أسقطوا ما استلموه من وحيهم على الآخرين.

¹ عبد الجبار، المغني، ج5، ص98-99.

3. اتضح أن القاضي عبد الجبار - النموذج الذي تخيره غي مونو كحالة ممثلة للفكر الكلامي الإسلامي - كان مطلعاً على قانون الإيمان المسيحي، ملماً بمنطوقه، مدركاً لمفهومه، محكماً لمعانيه ودلالاته المحتملة وتأويلاتها عند النصارى، كما ظهر في تحليله لفظة الجواهر والشخص والأقنوم، وما عرضه في كتابه المعني لا يختلف عما قرره آباء النصارى كما تأكد من المقارنة.

4. تبين أن القاضي عبد الجبار كان واعياً لأن النصارى قد اختاروا مصطلحات لها دلالة محررة مقررة بين أهل اللغة والاصطلاح، معلوم أنها تختص بالمحدثات ومشحونة بدلالات حسية لا تصح في حق الذات العلية، فوظفوها ووصفوا بها الله جل وعلا، وأعملوا اللفظ ومعناه تارة أخرى واللفظ دون المعنى تارة أخرى؛ فانتقدهم علماء الكلام من حيث أنهم أعملوا اللفظ وأهملوا المعنى، كما تبين في وصفهم لله وَعَلَىٰ بالجواهر؛ لأنهم بذلك قد أثبتوا له جل وعلا صفة لا تليق بذاته الكريمة، وشأن الصفة أن تناسب الذات العلية وما لها صفات سنية. كما انتقدهم من حيث أعملوا اللفظ ومعناه، وامتنعوا من الالتزام بلوازمه الدلالية والمنطقية، كما فعلوا في العلاقات التثليثية، ولذلك قال القاضي عبد الجبار: "الذي ادعينا عليهم من التناقض أردنا به تناقض المعنى، وأنه لا يصح اعتقاده دون تناقض الألفاظ"؛¹ فلا يصح تصورهما على وجه معقول أبداً، ولذلك ألزمهم شيوخ الكلام "القول بتناقض مذهبهم، وأنهم قائلون به على وجه لا يعقل".²

5. أثبتت المقارنة أن ما طرحه القاضي عبد الجبار من تحليل للتثليث المسيحي وأشخاصه الثلاثة أو أقانيمه، والعلاقات القائمة بينها، لا يختلف عما قرره أعلام النصارى من قديم إلى وقتنا الحاضر، وهذا ما يؤكد دقة المتكلمين وسعة اطلاعهم على العقائد المسيحية، ويثبت عدم صحة نتائج غي مونو في دراسة نصوص الجدل الإسلامي.

¹ المصدر السابق، ص 90.

² المصدر السابق، ص 89.

6. ليس مرد الجدل الإسلامي المسيحي والرد على النصارى إلى عدم فهم حقيقة التثليث، وإنما مرده إلى رفض ما يستنتج من أقوالهم، وهذا ما صاغه القاضي عبد الجبار بقوله: "إن كل كلام توصل به إلى إفساد المذهب لم يسقط باختلاف العبارة عن ذلك المذهب؛ لأن الوجه في إفساد المذهب به من حيث المعنى لا من حيث العبارة؛ فاختلاف العبارات عنه في أنه لا يؤثر فيه كاختلاف العبارات بحسب اختلاف اللغات عن المذهب الفاسد في أن ما يفسد به لا تتغير حاله"¹. وهذا ما يدحض دعوى غي مونو أن الاختلاف في فهم دلالات الألفاظ مرده إلى الترجمة، وإلى كثرة الدلالات الممكنة لألفاظ العقيدة النصرانية، والتي يمكن أن يرفض بعضها الفكر الإسلامي، ويقبل بعضها الآخر، بينما هو متجاوز عنه في الفكر النصراني. فالمسألة ذات بعد دلالي منطقي، ولذلك فقد تحرى المتكلمون تتبع مختلف الألفاظ اللاهوتية ودلالاتها عند النصارى، وفحص معقوليتها فحصاً منطقياً، بما يصير بحثهم وافيّاً؛ فأنى النقد؟

References:

المراجع:

- Ali Bouamama, *Polémique Musulmane contre le Christianisme depuis ses origines jusqu'au XIIIe siècle* (Alger: Entreprise nationale du livre, 1984).
- Alister E. Mc Grath, *Christian Theology* (USA: Blackwell, 3rd edition, 2001).
- Al-Jashmī, al-Ḥākīm, "Sharḥ 'Uyūn al-Masā'il", in *Kitāb Faḍl al-I'tizāl wa Ṭabaqāt al-Mu'tazilah*, taḥqīq Fuād al-Sayyid (Tūnis: al-Dār al-Tūnisīyah li al-Nashr, Algiers: al-Muassasah al-Waṭaniyyah li al-Kitāb, t 2, 1986).
- al-Kindī, Abū Yūsuf Ishāq, *Maqālah fī al-Radd 'alā al-Naṣārā* (Beirut: Dār al-Kutub, 1995).
- Al-Qarāfī, Shihāb al-Dīn Aḥmad, *al-Ajwibah al-Fākhīrah 'an As'ilat al-Fājīrah* (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1986).
- Al-Rāwī, 'Abd al-Sattār, *al-'Aql wa al-Ḥurriyah: Dirāsah fī Fikr Al-Qāḍī 'Abd al-Jabbār al-Mu'tazilī* (Beirut: al-Muassasah al-'Arbiyyah li al-Dirāsāt wa al-Nashr, 1st edition, 1980).

¹ القاضي عبد الجبار، المغني، ج 5، ص 88.

- Al-Sharfi, 'Abd al-Majīd, *al-Fikr al-Islāmī fī al-Radd 'alā al-Naṣārā* (Algiers/Tunis: al-Muassasah al-Waṭaniyyah li al-Kitāb, 1986).
- Al-Shihristānī, 'Abd al-Karīm, *al-Milal wa al-Nihal* (Baghdād: Dār al-Mutanabbi, no date).
- David Thomas, *Early Muslim Polemic against Christianity* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1st ed, 2002)
- Ferhat, Abdelhakim, *Manhaj Al-Qāḍī 'Abd al-Jabbār fī Dirāsāt al-Adyān* (Constantine: Amīr 'Abd al-Qādir University, 2003).
- Guy Monnot, *Islam et Religions* (Paris: Maisonneuve, 1986).
- Guy Monnot, *Les Doctrines des Chretiens dans le Moghni d'Abdal Jabbar*, Mideo, N°16, (1983).
- 'Abd al-Jabbār, Al-Qāḍī, *al-Mughnī fī Abwāb al-'Adl wa al-Tawhīd* (Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, 1966).
- _____, *Sharḥ al-Uṣūl al-Khamsah*, ed. 'Abd al-Karīm Uthmān (al-Jazāir: Mūfam, 1986).
- _____, *Tathbūt Dalā'il al-Nubuwwah*, ed. 'Abd al-Karīm Uthmān (Beirut: Dār al-'Arabiyyah li al-Ṭibā'ah wa al-Nashr wa al-Tawzī', 1966).
- P. Schaff & H. Wace, *N. & P.N. Fathers*, series 2, Letter 52, *To the Canonicoe*, Vol. VII.
- P. Schaff & H. Wace, *N. & P.N. Fathers*, series 2, Vol. IV, Eerdmans Pub. Company, Sept. 1978, St. Athanasius, *Four Discourses Against the Arians- Discourse III*, points 4 &5.
- P. Schaff & H. Wace, *N. & P.N. Fathers*, series 2, Vol. IV, Eerdmans Pub. Company, Sep. 1978, St. Athanasius, *Expositio Fidei* (Statement of Faith).
- P. Schaff & H. Wace, *N. & P.N. Fathers*, series 2, Vol. VII, Eerdmans Pub. Company, Nov. 1978- *The Book of Saint Basil on the Spirit*, Chapter 18, p. 28).
- P. Schaff & H. Wace, *N. & P.N. Fathers*, series 2, Vol. VII, Eerdmans Pub. Company, Sept. 1978, Gregory Nazianzen, "Fifth Oration on the Holy Spirit".
- P. Schaff & H. Wace, *Nicene & Post Nicene Fathers*, series 2, Vol. VII, Eerdmans Pub. Company, Sept. 1978, Gregory Nazianzen, Fifth Oration on the Holy Spirit.
- Phillip Schaff & Henry Wace, *Nicene & Post Nicene Fathers*, Hendrickson Publishers June 1995, Vol.VII, Second Series., 5th Theological Oration (on the Holy Spirit), Article IX.
- Phillip Schaff & Henry Wace, *Nicene & Post Nicene Fathers*, Vol.VII, Second Series. Hendrickson Publishers June 1995, Article XVII 3rd Theological Oration (on the Son), Article II, p.301)
- Phillip Schaff & Henry Wace, *Nicene & Post Nicene Fathers*, Vol.VII, Second Series. Hendrickson Publishers June 1995, Article XVII 3rd Theological Oration (on the Son), Article II.
- Uthman, 'Abd al-Karīm, *Qāḍī al-Qudāh 'Abd al-Jabbār al-Mu'tazilī* (Beirut: al-Dār al-'Arabiyyah li al-Ṭibā'ah wa al-Nashr, 1967).
- <http://www.alkalema.net> (1-12008)

<http://www.ar.wikipedia.org> (3-3-2008).

<http://www.christusrex.org> (2-3-2008).

<http://en.wikipedia.org/wiki/Trinity> (3/3/2008).

<http://www.abocefen-tamf.com/vb/showthread.php?t=4805> (3/3/2008)

<http://www.answering-islam.org/Arabic/Books/Theology/index.html> (2-2-2008).

<http://www.answering-islam.org/Arabic/index.html> (3/3/2008)

http://www.antiochair.com/library/saints/St.Athanasius_the_Great_his_life.htm
(5/3/2008).